بلاد الله : تأثير الإنجيليين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية

والتر راسل ميد *

الإنجيليون والسياسة الخارجية:

كان الدين دائماً قوةً حاضرةً وقويةً في السياسات الأميركية، كما في تحديد السياسات, والهوية، والثقافة، وقد أسهم الدين الذي أثّر في تكوين الشخصية الأميركية، في تشكيل صورة أميركا عبر العالم، كما أسهم في تحديد الوسائل والدرجات التي يجيب بها الأميركيون على الأحداث خارج حدودهم، وهكذا فالدين يعطي الأميركيين الإحساس بأنهم أمة مختارة، كما يقوي اقتناعهم بأنهم يملكون واجباً بنشر قيمهم في العالم. ولا يوافق سائر الأميركيين طبعاً على هذا الانطباع؛ بل إن الذين يتبنونه غالباً ما يختلفون حول معناه أو معاني تلك الأشياء التي عليهم القيام بها. لكن تكتفي الأكثرية بالقول بأن هناك مهماتٍ ينبغي القيام بها ولأسباب دينيةٍ أو ليبراليةٍ أو إنسانية, ويؤثر ذلك في السلوك السياسي تجاه الخارج كما في الداخل. فالدين مهمٌّ للحياة وفي الحياة في الولايات المتحدة, وإن اختلط نفوذه بأمورٍ أخرى. والمتحمسون من أنصار هذا الأمر أو ذلك غالباً ما يستندون في رعايتهم ودعواتهم إلى هذا المبدأ الديني أو ذلك في نُصرة القضايا التي يعملون من أجل تحقيقها. والبلاد متنوعةٌ من الناحية الدينية, بحيث تستطيع أن تجد أنصاراً متحمسين بتأصيلٍ ديني, لكل سياسةٍ خارجيةٍ يمكن تصوُّرُها.

لكنْ علينا التنبُّه إلى تمييرٍ آخرَ إلى جانب التنوع الديني. ففي داخل الكنائس البروتستانتية حدث تحولٌ كبيرٌ لصالح الاتجاهات الأكثر محافظة, بدلاً من الاتجاهات الليبرالية التي سادت حوالي أواسط القرن العشرين. والإنجيليون الجدد هؤلاء أثروا كثيراً في السياسة الخارجية في العقدين الأخيرين من السنين. إنّ أكثر طلاب العلاقات الخارجية والمراقبين العاملين فيها في الولايات المتحدة وفي الخارج, لا يعرفون الكثير عن البروتستانتية الأميركية, كما لا يعرفون أنّ آراء القسيس بيلي غراهام قادت إلى أمورٍ مختلفةٍ في العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة، وهي أمورٌ مختلفةٌ عن آراء الأصولي بوب جونز في الجامعة المعروفة باسمه. ولهذا فإنّ دراسة التأثير الإنجيلي في السياسة الخارجية في السنوات الأخيرة, تتطلب معرفة تامة بالإحياء الديني الكبير الحادث تحت الخيمة البروتستانتية.

لكنْ لماذا التركيز على البروتستانتية وحَدها؟ والجواب لأنّ البروتستانتية هي التي تركت التأثير الأكبر في الهوية الأميركية، وفي الشخصية الأميركية، ثم إنها ما تزال هي دين الأكثرية(بنسبةٍ صغيرةٍ فقط). والأمر الآخر أنّ الكاثوليكية الأميركية هي التي تأتي

ثانيـة بعـد البروتسـتانتية من حيت عدد الأتبـاع(وهي كبرى الكنـائس المنفردة) مـا كان لها ذلك التأثير الكبير، كما أنّ أهتماماتها الخارجية ضئيلةٌ نسْبياً.

سؤال الأصول:

في عـودةٍ سـريعةٍ إلى التاريـخ لكي نعرف كيف بـدأت البروتسـتانتية التأثير؛ نجـد أنّ ما يُعرفُ بالإصـلاح البروتسـتانتي بـدأ في إنجلـترا واسكتلندا في القرن السادس عشـر، وقد ظهرت في ذلـك الإصـلاح توجهـاتٌ متنوعـةٌ وكـثيرةٌ؛ لكنـه تميز بتياراتٍ رئيسـةٍ ثلاثة: الاتجـاه المتمسـك بالأصول والتقاليد بحيـث يمكـن تسـميةُ أتبـاعه: الأصـوليين, والاتجاه التقدمي ذو البُعد الأخلاقي المسـمّى بالمسـيحية الليبرالية، والاتجـاه التقليـدي الإنجيلي الواسع(يملك الخمسـينيون المعروفون بالبنتاكوسـتال اختلافاتٍ مع الأصوليين والتقليديين. لكـن لأـنّ لاـهوتَهم عبـارةٌ عـن مبـادئ وتفاصـيل إنجيليـة متنوعـة، فيمكـن حسـبانهم مع الإنجيليين هنا وليس مع الأصوليين).

وقد لا يكون مفيداً جدًّا التركيز على التسـميات بسـبب سرعة التدخل والافتراق، ولكنْ لا بـد مـن معرفـة التوجهـات الرئيسـة رغم صـعوبة ذلـك، للوصـول إلى طرائـق التأثير في السياسة الأميركية.

كـل التيـارات مـن أصـوليين وليـبراليين مسـيحيين وإنجيليين، ينتمـون إلى البروتسـتانتية الأميركيـة، ولـذلك واجهـوا جميعـاً وإن بطرقٍ متعـددةٍ تحـدي الأصولية/العصـرانية أو التقليديـة/الحداثـة في العشـرينات من القرن العشـرين. فحـوالي العالم 1800م كـان معظم البروتسـتانت يـذهبون إلى أنّ العصور الحديثـة تؤكـد ما جاء في الإنجيـل. لكنه مع ظهور الداروينيـة ونقـد النص للعهـدين؛ فإن البروتسـتانتية الأميركية تنـاثرت إلى فرَقٍ ومـذاهب متنـاحرة. أمـا العصـرانيون الليبراليون فرأوا ضـرورة استيعـاب العلوم الحديثـة ضـمن اللاـهوت للـدفاع عـن المسيحية بطرائـق تنويريـة. وذهب الأصوليون إلى أنّ المسيحيين ينبغي أن يظلـوا أمنـاء لحروف الإنجيـل ونصّـه والـذي يمثـل الحقيقـة النهائيـة. بيـد أنّ الأصوليين انقسـموا بدورهم إلى **تيارين**: **تيار المنشقّين**, والذين رأوا ضرورة مفارقة كل أولئـك الـذين يسـتخدمون المناهـج الحديثـة بأي شـكل, وعنـدما سيطرت تلـك المناهـج فإنّ المنشـقّين هؤلاء اعتزلوا وغادروا السياسة والثقافة العامة. **وتيار الإنجيليين الجدد** والذين رأوا ضـرورة الاسـتمرار في التعامـل مـع العـالم ومحاولـة التصـدي للحداثة الملحدة. وقد سُمّي هؤلاء إنجيليين جُدُداً آنذاك, ولذلك فقد استعاد المنشقون اسم الأصوليين, بينما يسمّى الجدد هؤلاء أنفسهم الآن إنجيليين فقط.

هـذه التيـارات الثلاثـة(الأصوليون والإنجيليون والليبراليون) تِملكُ أفكاراً ورؤًى مختلفة حول الولايات المتحدة والدور الذي ينبغي أنٍ يكونٍ لها في العالم. أما الأصوليون فهم ذوو نظرة متشائمـة حـول العـالم, ويقيمـون تفرقـة قويـة بينٍ المـؤمنين وغير المـؤمنين. ويرى الليبراليون العالم بعيونٍ متفائلة, ولا يرون فروقاً كبيرة بين البشر. أما الإنجيليون فيتخذون موقفاً وسطاً بين التيارين الآخَرين. والواقع أنّ موقع الأصوليين شديـد الغموض والتعقيد,

ولا يملكون كياناً جامعاً أو شخصية قائدة, لكنْ يمكن هنا تحديد ثلاث خصائص لهم: إيمان عميق بالإنجيل ورؤاه ونصوصه، وتصميم قوي للدفاع عن الإيمان البروتستانتي الموروث في وجه الكاثوليك والعصرانية والعلمانيين وغير المسيحيين، والاقتناع بأنّ المسيحيين المخلصين ينبغي أن يظلّلوا منفصلين عن غير المؤمنين في غير العالم المسيحي. ويوجد الأصوليون داخل كل التيارات البروتستانتية(وبخاصةٍ لدى الإنجيليين الجنوبيين ولوثريي ميسوري), وتميل الجماعات الأصولية إلى الصَّغر والجماعات الحديدية لميلا إلى الطُّهرائية مثل الكالفينيين المتشددين في الكنيسة البرستبارية. ثم إنها تستعصي على أي شكلٍ من أشكال التنظيم المؤسّس الواسع. ويعتقد كثيرون أنّ الأصوليين في الغالب صغار العقول، وهم يميلون إلى التلقائية وللرؤى المباشرة وللعيش الروحي الخالص. بيد أنّ ما يميز هؤلاء عن الإنجيليين ليس التلقائية الروحانية الطهورية؛ بل ميلهم إلى اتباع أفكارهم حتى النهاية. فهم يريدون صناعة "صورةٍ كاملةٍ للعالم" , ويحاولون تطبيق صورتهم الذهنية هذه بكل سبيل. هم يعادون مَثلاً الداروينية لإيمانهم بحقائق الإنجيل المعصومة, وفي حين يمضي بعضُهم في ذلك إلى النهاية، إلى حدود إنتاج الكتب عن "خلْق الطفرة" وسحب أطفالهم من المدارس التي تدرّس الداروينية، يذهب آخرون إلى نشاطٍ علمي أو شبه علمي مكثّف لإثبات صحة تعاليم الإنجيل. ولذلك فإنّ جامعات ومعاهد الأصوليين مثل جامعة بوب جونز ليست معاهد للأفاعي السامّة المعادية للآخرين, بقدْر ما هي بيئات علمية متحمسة لوجهة نظرها الخاصة، وهي تأخذ ذلك مأخذ الجد وتعمل لإثبات صحة ما تعتقدُه كلَّ الوقت. وقد عانى الأصوليون من هزائم وتراجعات في عشرينات القرن العشرين وثلاثيناته. ولذلك انعزلوا وتطورت لديهم رؤى سوداوية عن العالم وعن الخصوم. وقد اعتقد كثيرٌ منهم أنّ الناجين الذين اختارَهم الله للتوبَه قليلون، وأنّ أكثرية البشرية مفروضٌ عليها الهلاك والعذاب. وقد أمكن للكالفينيين المتشددين من قبل أن يُنْشدُوا حكماً في سكوتلندا ثم في إنجلترا أيام كروميل. كما ظلوا مسيطرين خلال القرن السابع عشر في نيو إنغلند. لكنْ خلال القرون الثلاثة الأخيرة تضاءلت آمالُهم في إمكان إقامة الدول والكيانات على أساس الأصول المسيحية الأولى. ويمكن القول بأن منطقِهم هو منطق الأصولي الأميركي دوايت موري في القرن التاسع عشر, والذي رفض العملِ في السياسة لِفقده الأمل في إقامة كيانٍ أصوليٍ طهوري وقال: إنني انظر: إلى هذا العالم بوصفه سفينة خيرية مشرفة على الغرق. وقد أعطاني الله زورق نجاةٍ وقال لي: موري, انقذْ ما يمكن لك إنقاذُه!

بهذه الرؤية للعالم, يعتبر الأصوليون أنه لا أمل ولا تعاوُن مع غير المؤمنين خارج الولايات المتحدة, ولا ثقة بالأمم المتحدة التي تعتبر حكومات هؤلاء الأشرار الذين يضطهدون المسيحيين. شرعية. ولذلك ففي رواياتهم عن نهايةِ العالِم يعتبرون أنّ الأمين العامَّ للأمم المتحدة هو المسيح الدجال! ويملك الأصوليون طبعاً رؤية واضحة لنهاية العالم مأخوذة من كتاب الرؤيا بالإنجيل. وفيه أنّ الأشرار بزعامة الشيطان سوف يثورون على الله, لكنّ المسيح سوف يأتي فيُهلك الأشرار وينصر المؤمنين الذين يعانون طويلاً قبل

الخلاص. ومن الطبيعي ضمن هذه الرؤية ألاّ يؤمن هؤلاء بالتعاون الدولي, ولا بالتقدم البشري, ولا بالحوار بين الأديان والأمم.

الليبراليون:

تجد الليبرالية البروتستانتية جوهر المسيحية في رسالتها الأخلاقية, وليس في أصولها التاريخية. وقد عمل الليبراليون منذ القرن السابع عشر لإنقاذ الرسالة الأخلاقية للمسيحيةٍ وإخراجها من كَومة الأساطير والمجازات والأحداث التاريخية. وبلغ بهم الأمر حدَّ الشك في الثالوث وطبيعة المسيح والأمور الأخرى التي تطورتْ في القرون المسيحية الأولى. وهم يميلون لاعتبار قصة الخلق في ستة أيام، وخَلق آدم، وطوفان نوح، بوصفها مجازاتٍ وليست حقائق ينبغي الاعتقادُ بها. ويقول بعضُهم أنّ قيامة المسيح والعجائب الأخرى لا ينبغي أخذُها حرفيًّا. وبذلك يصبح المسيح معلماً أخلاقيًّا كبيراً ورسولاً للفقراء والمسحوقين. وحول هذه الأفكار تقوم دعوة "الكنيسة الموحَّدة"(يونيتاريان) التي جلبها جوزف بريستلي إلى أميركا عام 1794م. وقد كان بريستلي صديقاً لبنيامين فرانكلين ولجيفرسون وأثّر فيهما رغم أنهما كانا يذهبان للقداس في الكنيسة الأسقفية وليس في كنيستة، ومع ظهور الداروينية، وموجات النقد للعهدين، انتشرت النزعة الليبرالية خلال كل الكنائس المنفتحة التي كانت موجودةً وما تزال، وإلى هذه الكنائس انتمت النخبة الدينية والثقافية والاجتماعية الأميركية.

ويميل المحافظون التقليديون لعدم اختيار الليبراليين بين التيار الرئيسي للمسيحية. لكنّ المسيحيين الليبراليين يعتبرون أنّ توجهاتهم هي جوهر الرسالة المسيحية الأخلاقية والقيمية. ويعتبرون أنّ إصلاح القرن السادسٍ عشر هذه هي مصائرُه المنطقية، التي استعادت بها المسيحية وجهها الحقيقي بعيداً عن البابوية الجامدة وعصمتها، وعن الأصولية الحروفية وأوهامها. وبإنكارهم العقائد مثل الخطيئة الأصلية، ووجود النار، والتثليث، يعتقد البروتستانت الليبراليون أنهم هم أهل البروتستانتية الأصلية.

لا يفرِّق الليبراليون بين العالمين المسيحي وغير المسيحي، بل يعتقدون أنّ القيم الأخلاقية واحدة, وأنّ كل أهل الديانات مهما اختلفت يملكون أجزاء من الحقيقة، ويستطيعون بلوغ الخلاص بالعمل الصالح للخير العام. ولأنّ هؤلاء الليبراليين ينكرون الخطيئة الأصلية(باستثناءٍ مهمٍ لدى "المسيحيين الواقعيين" بزعامة رينولد نيبور) فهم يعتقدون أنّ سائر البشر ماضون نحو التقدم ومؤهّلون له ويمكن التعاوُن معهم. ولذلك فهم يقفون موقفاً إيجابيًّا من الأمم المتحدة، ومن المحور العالمي لحقوق الإنسان، وقد سيطرت رؤية الليبراليين هؤلاء على السياسة الخارجية الأميركية خلال الحرب الثانية والحرب الباردة. وكان من أتباعها فرانكلين روزفلت وهاري ترومان ورين أتشيسون وأيزرنهاور وجوب فوستر دالاس. وقد تحسّنت العلاقاتُ في حقبتهم أواسط الخمسينات من القرن العشرين مع الكاثوليك واليهود الذين كان تأثيرهم يصعد في السياسة والإدارة بالولايات المتحدة. وقد أتى جانبٌ من نظرتهم المتفائلة للقضايا الداخلية والخارجية من قدرتهم على

بناء إجماعٍ داخليٍ كبير على المسائل الرئيسة.

إنّ نفوذ الليبراليين البروتستانت شهد تراجعاً قويًّا في العقدين الأخيرين، وذلك لعدة أسباب، من بينها إعراض أتباع " المبدأ البروتستانتي" عن النزعات العلمانية الإلحادية التي كان الليبراليون لا يأبهون لها. ومن بينها أنّ الليبراليين ما كانوا يعملون كثيراً في القضايا الدينية، وهذا يُزعجُ العامة كثيراً. وثالثاً أن الليبراليين صدموا كثيرين بمواقفهم من الإجهاض ومن التعامل مع الجنسيين ومع قضايا المرأة الأُخرى. وقد أعرض عنهم الكاثوليك لاختلافاتٍ حول هذه الأمور، ثم أعرض عنهم اليهود لتناقُض تأييدهم لإسرائيل.

الإنجيليون والشرق الأوسط:

يقع الإنجيليون في موقعٍ وسطٍ بين التيارين الآخرين الأصولي والليبرالي. وهم يشاركونِ الأصوليين في كثيرٍ من عقائدهم؛ لكنهم يملكون نظرةً تفاؤلية للداخل الأميركي وللعالم موروثة من الحُلم الأميركي ومن النجاح الأميركي. فهم بذلك أدنى إلى النزوح الإحيائي الأميركي في القرن التاسع عشر, وللكالفينية المعتدلة التي حملها اللاهوتي الهولندي جاكوبوس أرمينيدس, والإنجليزي الإنجيلي جول ويسلي. والكنيسة الرئيسة للإنجيليين في الولايات المتحدة هي المجمع الأسقفي الجنوبي أو المؤتمر الأسقفي الجنوبي وعدد أتباعها 16,5 مليون, وهي بذلك أكبر الكنائس البروتستانتية الأميركية على الإطلاق. ويختلط في الكنائس هذه وشقيقاتها الإنجيليون مع الخمسينيين(البنتاكوستال), وبينهم كنائس سوداء قوية وواسعة العدد. وكما سبق القول فإنّ هؤلاء الذين يبلغ مجموعهم الثلاثين مليوناً يميلون إلى المبادئ الأصولية، فلا يرون الرؤية الأخلاقية للمسيحية بل يعتبرونها خيانة لرسالة المسيح. وهم يقولون بالخطيئة الأصلية، ولذلك فلن ينجو أكثر البشر, وعندما يسمون مثل الأصوليين بـ"المولودين ثانية" فهم يعنون بذلك أنه لا نجاة من الخطيئة الأصلية إلّا بالإيمان بصلب المسيح وافتدائه للبشرية. والأمر الثالث المهمّ الذي يوافقون فيه الأصوليين هو رؤيتهم لنهاية العالم, وسلام الألف عام الذي سيحققه المسيح. ولذلك فإنّ كلّ جهود السلام العالمي لن تتحقق بالطرائق الإنسانية العادية.

وبسبب التشابهات الكثيرة بين الإنجيليين والأصوليين يميل الكثير لاعتبار التيارين واحداً. والواقع أنه رغم التشابهات هناك فرقٌ مهم. فالأصوليون يرون أنّ المسيح ما صُلب وافْتُدِيَ إلا قلة مختارة؛ بينما يرى الإنجيليون أنّ كل البشرية يمكن أن تستفيد من صلب المسيح في الخلاص. فالمسيح يحب كل روحٍ خاطئة, ويريد خلاصها, وينبغي الأملِ والعِمل على ذلك من كل محبي المسيح. ولذلك فإنّ هؤلاء يملكون نظرةً أقلّ سوداوية للعالم ومصائره. وهم يؤمنون بالأعمال الخيرية وبالعمل الجماعي الخارجي باعتبار ذلك كلّه عملاً تبشيريًّا مطلوباً وواجباً. ثم إنّ الإنجيليين هؤلاء لا يقولون بالتطورية الداروينية, ولا بالتأثير من علوم الفلك. لكنهم لا يعترضون على تدريس تلك الأمور في الجامعات الأميركية. وهذا موقفٌ علميٌّ عللهُ غامضةٌ بعض الشيء, لكنه يبدو خضوعاً من جانبهم للضرورات. وهناك تيار بينهم يُسمَّى تيار ما قبل الألفية, يؤمن بألف عامٍ من السلام في

العالم قبل مجيء المسيح. ولذلك فكثيراً ما عمل الإنجيليون هؤلاء مع الليبراليين في مبادرات السلام.

توازنات القوة:

منذ عام 1960م حين كانت الكنائس الأميركية الست الرئيسة تقليديًّا والليبرالية نزعاً, في حمى شعبيتها وحتى عام 2003م حدثت تغيراتٌ صاعقة. لقد انخفض عدد أتباعها إلى 22 مليون. وكانوا في عام1960م يمثلون 59% من البروتستانت في الولايات المتحدة, وفي العام 2003م صاروا 46% فقط. وما بقيت كنيسةٌ من الكنائس الست إلاّ وفقدت أكثر من 25% من أتباعها لصالح الإنجيليين في الغالب, أكثر مما هو لصالح الأصوليين. أما المجمع الأسقفي الجنوبي فقد كسب حتى عام 2003م سبعة ملايين عضو ليصبح أكبر الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة.

إنّ هذه النتائج الموجزة لم تبق دون أثرٍ على التوازن الداخلي. ففي عام2000م حصل بوش على 40% من ناخبيه من صفوف الإنجيليين, وزاد العدد في عام2004م. وقد صارت نسبة الذين يسمون أنفسهم إنجيليين من أعضاء الكونغرس حوالي الـ25%.

مع العالم الخارجي:

إن زيادة نفوذ الإنجيليين في السياسة الخارجية تجلى في أمرين اثنين: دعم المساعدات الخارجية، والتأكيد على حقوق الإنسان، وزيادة الدعم لإسرائيل في حين تراجع دعم الليبراليين للدولة العبرية. ولا يمكن القول بأنهم غيرَّوا السياسة الخارجية الأمريكية؛ لكنْ صار لهم صوتٌ مرتفع فيها. وقد كان الإنجيليون مسيطرين في المجتمع الأميريكي في القرن التاسع عشر، ووقتها أثروا أيضاً دعم حركات التحرر, وأيدوا تحرير الزنوج, وساعدوا الحركات النسوية في آسيا وإفريقيا، وهم يعودون في العقدين الأخيرين للسياسات نفسها مع تأثيرهم المتزايد على الرئيس والإدارة. وقد بدا ذلك في السودان وفي أوغندا ورواندا بحجة مكافحة الإيدز، وزيادة المساعدات التنموية، ولجهة دعم التبشير تحت اسم رعاية حقوق الإنسان, والحريات الدينية. وقد زعم الرئيس النيجيري أوباسانجو والرئيس الأوغندي موسيفيني أنهما إنجيليان للحصول على الدعم من الولايات المتحدة، تماماً كما فعل سون يات سن وامرأة شان كاي تشك من قبل. لكنّ الإنجيليين لا يحبون العمل الثنائي من دولةٍ لدولة, ولا الأعمال الضخمة التي لا تَعدُ بنجاح. بل يفضلون العمل الطوعي من منظماتهم مع منظماتٍ مماثلة في البلدان المستهدَفة.

أما المجالُ الآخَرُ الذي يبدو حماسُ الإنجيليين فيه فهو مجالٌ الدعم لإسرائيل بكل سبيل. صحيحٌ أنّ الإنجيليين مثل سائر المسيحيين يعتبرون أنفسهم أمة المسيح الأولى والأخيرة. لكنّ قراءة الإنجيل بدقة في القرن التاسع عشر أوصلتهم إلى قناعة مؤداها أنّ اليهود سيعودون إلى القدس وفلسطين قبل مجيء المسيح. وكان مارتن لوثر يأملُ أن يهتدي اليهود إلى المسيحية فخاب أمله وصار كارهاً لهم ومُعادياً للسامية. أما الإنجيليون فهم

مقتنعون أنّ أكثر اليهود سيظلون على دينهم إلى أن يأتي المسيح وهم في القدس فيتخلون عن اليهودية. وهذا يقلل من التوتر بين الإنجيليين وبين اليهود، ويحوّل الأمر إلى دعمٍ لهم في موطنهم الجديد إذ يشكل ذلك تمهيداً لعودة السيد المسيح. كما أنّ وجود اليهود في أرض الميعاد يشكّل تصديقاً لوعد الله لهم؛ بل دليلاً على وجود الله وقوته وسلطته المطلقة وعنايته ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ فقر الفلسطينيين والعرب وهزائمهم تجاه إسرائيل دليلٌ على غضب الله على أولئك الذين يكرهون شعب الله المختار.

التغطية الكبرى الجديدة:

ما بلغت الموجة الإنجيلية الجديدة ذروتها ولا تجاوزتْها بعد. ولا شكَّ أنَّ الليبراليين المسيحيين والعلمانيين يشعرون بقلقٍ شديدٍ من وراء ذلك. والذي أراه أنه لا داعي للذُّعْر والتوتُّر. فالجو الديني في الولايات المتحدة متنوعٌ تنوعاً كبيراً، ولن يتمكن طرفٌ واحدٌ من السيطرة. ونحن نعلم أنّ المسلمين والهندوس والبوذية والكاثوليك يتزايدون عدداً ونفوذاً، وهذا يجعل من المستحيل على الإنجيليين أن يسيطروا على السياسات الداخلية أو الخارجية بالاقتراع الكثيف. ثم إنّ الليبراليين البروتستانت يملكون الخبرة والعزيمة للعمل والنقد والتابعة، وحتى الوصول إلى توافقات مع الإنجيليين في بعض الملفّات. ثم إنّ الإنجيليين أنفسهم أقل تطرفاً مما يُعتقد. فبعد أحداث 11 سبتمبر، ظنّ كثيرون أنّ الإنجيليين سيدعون إلى حرب صليبية, ولكنهم لم يفعلوا. والذين صرخوا ضد الإسلام كانوا في أكثرهم من الأصوليين وليس من الإنجيليين. وعندما هاجم جيري فولويل النبي محمداً e ردَّ عليه زملاؤه وخطّأوه. والواقع أنّ الإنجيليين يشتركون مع المسلمين المتدينين في كثيرٍ من الآراء والقيم. وسيجدون سهولة ملحوظة في التلاقي على قضايا الزواج والجنس وحقوق الإنسان وتحرر الأفارقة والآسيويين ومكافحة المخدرات والأمراض الفتاكة مثل الإيدز والسرطان. وقد يكون الحوار الإسلامي الإنجيلي السبيل الأفضل لتجنب صراع الحضارات.

وعلى أي حال، يبدو أنّ الإنجيليين باقون في المشهد العام وبقوة في المستقبل المنظور. وهم عندما يتبنَّون قضايا داخلية أو خارجية يفعلون ذلك بدقةٍ وحماسٍ وخبرة أكثر أحياناً من الليبراليين. فعلى سائر الأطراف أن تضع في حسابها وجود هؤلاء ونفوذهم للعقود القادمة.

****

*) عن مجلة الشؤون الخارجية الأميركية – أكتوبر 2006م، ص24-43. والكاتب في مجلس العلاقات الخارجية، وله دراساتٌ في السياسة الخارجية الأميركية.